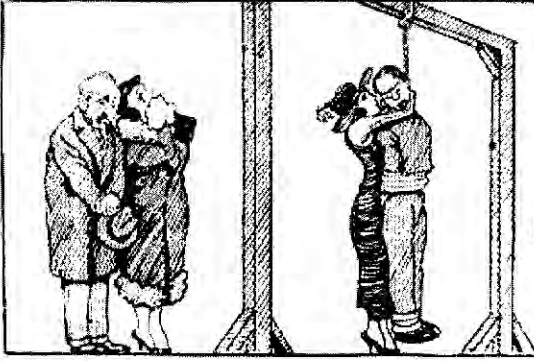




الذراع الذابذة

لِلشاعِرِ الانجِلِيزِيِّ توماس هاردي
بِقلمِ نَظْمِي خَلِيل

— إِمضِ بَنِيَّ وخُبرْنِي إِذَا كَانَتْ سَمَاءُ
أَوْ بِيضَاءُ ، طَوِيلَةً مِثْلِي أَوْ قَصِيرَةً ، وَإِذَا كَانَتْ
تَظْهَرُ رَبَّةُ بَيْتٍ أَوْ فَتَاةٌ نَاعِمَةٌ الْأَظْفَارُ لَمْ تَعْتَدْ بَعْدَ
حَيَاةِ الْمَنْزَلِ

فَانْطَاقِ الْإِبْنَ إِلَى السُّوقِ ، وَلَمْ يَكْدِ يَمُودُ عَنْ
مَنْزِلِهِ حَتَّى رَأَى وَالِدَهُ يَسِيرُ وَبِجَانِبِهِ فَتَاةٌ تَصْغُرُهُ
بِسَنَوَاتٍ . كَانَ وَجْهُمَا صَافِيَا صَبُوحًا كَأَنَّهُ نُورٌ
مُنْبَعِثٌ بَيْنَ خِثَائِلِ الْوَرْدِ . فَسَدَّ الْوَلَدُ إِلَيْهَا بَصَرَهُ
بِالرَّغْمِ مِمَّا كَانَ يَنْوُو بِهِ ظَهْرَهُ ؛ وَكَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ
غَمَرَتْ وَجْهَ تِلْكَ الْفَتَاةِ فَبَرَزَتْ مَلَامِحُهُ قُوَّةً جَذَابَةً
فَاغْتَاظَتْ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ « جَرْتْرُود » مِنْ ذَلِكَ
الصَّبِيِّ الَّذِي يَحْدِثُهَا بِنَظَرَاتِهِ الْقَوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ فَقَالَتْ
لِزَوْجِهَا :

— أَنْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الصَّبِيِّ الْفَقِيرِ كَيْفَ يَحْدِثُنِي
بِالنَّظَرِ !

— أَجَلْ ، قَدْ يَكُونُ أَحَدُ سُكَّانِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ
— أَظْنَهُ يَعْرِفُنَا
— أَجَلْ ، يَجِبُ أَنْ تَتَوَقَّعِي مِثْلَ هَذِهِ النِّظَرَاتِ
فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ الْجَدِيدِ

وَالْآنَ — هَيَا ، لَمْ يَبْقَ عَلَى مَنْزِلِنَا إِلَّا مِيلٌ وَاحِدٌ
عَلَّنَا نَبْلُغُهُ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ اللَّيْلُ
أَمَّا الْوَلَدُ فَلَمْ يَكْدِ يَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ حَتَّى ابْتَدَرَتْهُ
أُمُّهُ قَائِلَةً :

غَصَّ الطَّرِيقُ بِطَوَائِفِ الْقَرْوِيَّاتِ وَهُنَّ رَاجِعَاتٌ
إِلَى مَنَازِلِهِنَّ الرِّبِّيَّةِ الصَّغِيرَةِ يَتَجَاذِبْنَ شَتَّى
الْأَحَادِيثِ مِمَّا يَتَّصِلُ بِحَيَاتِهِنَّ الزَّوْجِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا
مَادَنُونِ مِنْ نَهَايَةِ الطَّرِيقِ هَمَسَتْ إِحْدَاهُنَّ بِصَوْتٍ
خَافِضٍ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ جَوْفِ بَقَرَتِهَا :

— « أَلَا خَبَرَانِي ، أَبَقْتَرْنِ السَّيِّدَ « لُوج »
زَوْجَهُ الْجَدِيدَةَ غَدًا ؟ »

— لَقَدْ بَلَغْنِي هَذَا
— أَلَمْ تَرِيهَا ؟ إِنْهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا فَتَاةٌ ضَائِلَةٌ
الْجِسْمُ مُورَدَةٌ الْخَدَيْنِ — قَالَتْ هَذَا ثُمَّ التَّفَتَّتْ إِلَى
بَقَرَتِهَا وَهِيَ تَضْرِبُ بِذَيْلِهَا فَيَسْكَدُ بِصَافِحِ وَجْهِهَا
— فَأُجَابَتْهَا إِحْدَى صَاحِبَاتِهَا : « إِنَّهَا تَصْغُرُهُ
بِسَنَوَاتٍ . أَتَعْرِفِينَ كَمْ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ الْآنَ ؟ »

— حَوَالَى الثَّلَاثِينَ
ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ ، وَفِي السَّبَاحِ التَّالِيِ
نَادَتْ « رُودَا » زَوْجَ السَّيِّدِ « لُوج » الْقَدِيمَةَ
ابْنَهَا وَقَالَتْ لَهُ : « لَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّ وَالِدَكَ سَيَتَزَوَّجُ
مِنْ زَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ الْيَوْمَ — إِنِّي أُرِيدُكَ الْآنَ أَنْ
تَذْهَبَ إِلَى السُّوقِ حَيْثُ يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهَا . فَقَالَ
لَهَا الْإِبْنُ : أَعَازِمُ أَبِي عَلَى الزَّوْاجِ إِذَنْ ؟ »

فَأُجَابَتْهُ أُمُّهُ : نَعَمْ . . . بِمُكْنِكَ أَنْ تَرَاهَا وَأَنْ
تَحْدِثَنِي عَنْ بَعْضِ قِسْمَاتِ وَجْهِهَا
— أَجَلْ يَا أُمِّي

لأن جميع الأعين كانت ترمقها
ولم يكد الصبي يستقر في منزله حتى بادرته
أمه قائلة :

« إيه ! حسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة
فتنهدت أمه فقد شعرت بشيء من الارتياح
ثم استأنف الولد كلامه فقال : ولكنها جميلة
جداً ، جداً يا أمي ، بل هي فائنة . والواقع أن جمال
هذه الفتاة قد ملك زمام قلب ذلك الصبي الناضج .
فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن
أسمعه . هيا إلى المائدة . مدعائها الخوان . إن
الأرنب الذي اصطدته طرى شهى ، ولكن احذر
أن يصطادك أحد

ولكنك لم تخبرني ما نوع يديها

— لم أرها فقد كانت لابسة قفازها

— ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

— لقد رأيتها في ثوب أبيض هفهاف تمبث
به نسبات الريح كلما هبت فتمسكه بيديها مخافة أن
يتطاير عن بدنها . أما والدي فقد كانت تملو وجهه
ابتسامة الرضى ويتبختر في سيره كأنه أحد النبلاء
ثم توالى زيارات الصبي لهذين الزوجين كلما
شمرت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة
الشابة ، ثم أخذت تكوّن من هذه الأوصاف صورة
ذهنية لتلك الفتاة التي لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى
ابنها إلى فراشه وبقيت هي وحيدة تنقلب في
فراشها تطلب النوم فيتأبى عليها ، ثم أخذت
تستجمع في مخيلتها هذه الأوصاف التي سمعتها من
ابنها حتى غابت في نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة
يحوم أمام عينيها وقد ارتدت ثوبها الأبيض الهفهاف

— ألم ترها ؟

— بلى ، رأيته

— أهي سيدة تماماً ؟

— نعم ، إنها مكتملة الشباب وفي عينيها بريق
المرأة الناضجة

— طبعاً ، وما لون شعرها ووجهها ؟

— إن شعرها كضوء النهار ووجهها كدمية
الصبية

— إذن عيناها ليستا سوداوين كعيني

— لا . إنها تميلان إلى الزرقاء وقها صغير

جميل بشفتين رقيقتين تنفرجان عن ابتسامة حلوة
وأسنان مفضضة لامعة

— وهل هي طويلة ؟

— لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

— إذاً عليك أن تذهب إلى الكنيسة غداً

فستجدها هناك . إذ ذهب وراقبها في مشيتها
وأخبرني إذا كانت أطول مني

— حسن يا أماء ، ولكن لماذا لا تذهبين

أنت وترينها بنفسك ؟

— بنفسى ! إني لن أسمع لنفسى أن أنظر إليها

ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع
السيد لوج طبعاً فإذا قال أو فعل ؟

— لم يأت شيئاً جديداً

وفي اليوم التالي ألبست الأم ابنها ثوباً نظيفاً
وأرسلته إلى الكنيسة ؛ فكان أول من وصل
إليها وجلس في أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب
جموع الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجه
الشابة وهي تتمثر في مشيتها حياءً وخجلاً كما تفعل
كل فتاة في سنّها تظهر في المجتمع لأول مرة ،
ولكنها لم تنبّه إلى نظرات ذلك الصبي هذه المرة

ولكن وجهها كان قد عبثت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شمردت أنفها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحبل يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فهبت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهي تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هي بعينها ، لقد لمست ذراع غريمها وهي تدفعها عن نفسها . لمست الذراع بلحمها وعظمها — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تذق النوم في تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصب المروض ، فلم تقوَ على حلب اللبن إذ كان ينصب بعيداً عن الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشعر أنها ممسكة بذراع غريمها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لاشك »

— هل سمعت وقع جسمي ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم سمعت الأم وأخذت تقتناول طعامها في تراخ وكسل ؛ ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بقى فيه يماون أمه في عملها . وفي الساعة الحادية عشرة جاءت المرأة لم تكذب تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذي ظهر لها في حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترفى وجهها تلك التجاعيد والخشونة التي رأتها في حلمها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشارات لطيفة بالغة ، وابتساماتها لذيدة وديمة ، حتى لم تعد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرود » الزوجة الشابّة زور صاحبها حاملاً إلى الصبي حذاءً جيداً وبعض اللعب

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة إلى صاحبها . وفي ذات يوم جاءت « جرود » وقد امتقع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألها « رودا » عن عاتها ، فأجابتها : « إني أشكو مرضاً حيرني وأعياني وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التي أمسكت بها في حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألها : كيف حدث هذا ؟ فأجابتها « جرود » وهي تهز رأسها : « لأدري ؛ ولكن حدث أن كنت نائمة فرأيت في حلمي أني انتقلت إلى مكان غريب وجثاء شمردت بألم ينتاب ذراعي فاستيقظت وأخبرت زوجي بالأمس فهو أنه سيذول عما قليل » — منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين في الساعة الثانية

لقد كانت هي الليلة والساعة التي رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشمردت أنها آثمة بجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ؛ ثم قالت في نفسها بعد أن ودعت صاحبها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غيري وأسبب لهم أضراراً على غير إرادتي ؟ ثم مضت تفكر في شتى الحلول

تتابعت الأيام وذراع « جرود » تزداد ذبولاً وجفافاً وشكوك الاثم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابتها « جرود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد بي المرض حتى لا أقوى الآن على أحماله »

— يجدر بك أن تذهبي إلى طبيب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها المآل جسمياً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لو علمت بأمر ذلك الحلم ، ثم رأت أنها إذا كتمت عنها ذلك الأمر كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لتري زميلاتها وقد شمعت بحاجة قوية الى هذا اللقاء ، فلم تكذبن من المنزل حتى خرجت إليهما « جرترود » وحببتها بحبة الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذراعك ... »

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهي أن أذهب الى ساحر يقيم في الاقليم المجاور لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكنني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إنني أحاول أن أتذكر اسمه . فقالت صاحبتهما وقد امتقع لونهما : « أليس اسم الساحر « ترندل »

— آه نعم هو بعينه . أهو حي ؟

— أظن هذا

— واسكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من حوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين يعتقدون في مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم يعمنون علماً طيباً . سوف لا أفكر في مثل هذا الرجل ثانية

فشمرت « رودا » بشيء من السكينة والطمأنينة فقد كانت تخشى أن يفضح ذلك الرجل أمرها عند صاحبتهما فتتظار إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان ، كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سمادتها لم يحض على هذا يومان حتى جاءت « جرترود »

— لقد صحبتني زوجي الى أحد الأطباء ولكن

الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحتني أن أضع ذراعي في ماء ساخن ، فعمات كما أمرني ولكن هذا لم يفدني شيئاً

— أتسمعين أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعيها

وأشارت الى موضع الألم وكان هذا فوق المعصم . فلما رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها . لم يكن هناك أثر للجرح بل كان هناك آثار الأصابع الأربعة ، الأول تجاء المعصم والرابع تجاء المرفق

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد ، فاني أرى

آثار أصابع هنا ، فأجابتها « جرترود » في ابتسامة ضيقة ضعيفة : « إن زوجي يقول أن أحد الشياطين هو الذي فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك لما صدقت » فأجابتها « جرترود » في شيء من التردد : « اني لا أهتم كثيراً بهذا لو لم يكن بي ما ينفر زوجي مني أو يضغف من حبه لي . إن الرجال يقيمون وزننا كبيراً المظهر الخارجي »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غخوراً

بي ؛ أما الآن ...

— يمكنك أن تستريه عن نظاره

— آه ، واسكنه يعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها — أَدْعُو لَكَ بِالشِّفَاءِ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قَرِيباً

ثم انصرفت « جرترود » وخات « رودا » الى نفسها وقد انتالت الأفكار على خاطرها حتى أصبحت عقلها هدفاً لتلك الوسواس التي جررها عليها ذلك الحلم البغيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالاثم حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظننت أنها جالبتة

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تدبير عدو . فانزوت « رودا » في نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرتروود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فهز الرجل رأسه وقال : « انك تعرفينه جيداً ، ولو أردت لأربتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرتروود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء في مكانها ، ثم قاد جرتروود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملية السحرية فأحضر كوباً وملاء ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة السكوب فنزل الزلال في السكوب وبقي الملح ، ثم حل السكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه في السكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعاً ، ثم عادت الى القرية وقد شمعت رودا أن صاحبها قد تغيرت

فعند ما سألتها عما رأت أجابها في شيء من التحفظ والحرص : « لاشيء يستحق الذكر » ثم علا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآته رودا في نومها . وبعد صمت طويل قالت جرتروود :

أ كنت أنت أول من فكر في هذا الساحر ؟
محجياً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب

ثم سارتا في الطريق دون أن تتحدنا كثيراً وقبل أن تفترقا قالت جرتروود « ان الناس يتهمسون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتقع وجه المرأة وغابت في تفكير عميق

ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

الى منزل صاحبها وقالت لها إن ذراعى تردد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية في ذلك الرجل الذى حدثنى عنه وإن كنت لا أعتقد في أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة في زيارته الآن . أيعمد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأمضى إليه — ألا تصحبينى

لتدلينى على الطريق ؟

فتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف بماودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلمها فتفقد صداقة صاحبها ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار وانفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » في اليوم التالى وأخذت تفكر في شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت الى المكان المعين حيث قابلت صديقها ، وقد أخفت ذراعها في مئزرها ثم مضتا في سيرهما لا يتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجبت الشمس ، وأخذت الرياح تعول وتصفر وهى تهب فوق التلال ثم تهوى الى بطن الوادى

أما « جرتروود » فقد كانت كلها فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبها في إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تسمر كلها تقدمت في الطريق أن شيئاً ثقيلاً يجثم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المربضة أو أن تدنوا منها . وأخيراً جاءت الى الرجل ، فحيا « رودا » وقصت عليه « جرتروود » قصة ذراعها ، فقال

قد تركا القرية

عنق أحد المشدوقين . فارتفعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه الكلمات — ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إنزاله من المشقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وتترقي إحدى ضحاياه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون ببعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أبى أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن بنست من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد ذكرت كلماتها لها : « إن ما بأنى بالرقى يذهب بالرقى أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشدوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا ببعض هذه الكلمات : « اللهم اشفق لي أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء !! » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشموذة

ثم جاءها يوماً يخبرها بعزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا الغياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكذب غيب عنها حتى امتطت جواداً مطهماً أخذ يطلو بها الأرض حتى وصات أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه ضحيتها التي ارتبطت سماتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنّها الجلاد إحدى قريبات الفتى المسكين أو سبيده . فقال : إنه سبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم يجد غيره

عاشت جرتود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجمال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتمسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً وما كان أحوجه إلى ابن يحيا في اسمه ويرث أرضه

لم تقعد الزوجة لحظة عن السعي في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطيبة في غير جدوى ولم تجد عليها الرق والتعاويد شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن يغلبه ، فجاء إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن — فأدركت الزوجة الغرض الذي يرى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدهما إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والعشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلهما مجذبة ثقيلة لم تذق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فهجم عليها ذكريات مرضها فتثور ونئن ثم تتأوه قائلة : « آه لو عادت إلى أيام حبي الأول » ثم أرادت أن ترمي بآخر سهامها للشفاء من هذا الداء الميأ ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكذب الرجل يراها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملتها فهر الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع — ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلابد ورفع الغطاء عن الجثة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يندفع إلى تلك الذراع المريضة ، ولكنها لم تكذب تلتفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد احمرت عينها من البكاء وأرخت شعورها على كتفها ، وقد وقف بجانب زوجها « لوج » ساهماً حزناً ولكن عينيه لاندممان ، فقال لها في صوت غاضب أجش : « ماذا نعمان هنا ؟ » ، ثم صاحت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أتحولين بيننا وبين ابنتنا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشعة التي رأيتها في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها المارية ودفعها إلى الحائط ، فوقعت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظالماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجه جرثود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمراً من أموره الخاصة

حات الزوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما تحتمل

أما الزوج فلم يكذب بفرغ من دفن زوجه حتى ترك قريته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى بمعظم ثروته إلى أحد الملاحين تاركاً جزءاً يسيراً منها إلى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الأفايم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين منفضن يخفي أعماق الأفكار ، وقلب مكلوم يحمل آلم الذكريات تظلمى ضليل

نهمه . فأجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد أن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلابد : في الساعة الثانية عشرة كالمادة ، أي بمجرد وصول البريد من لندن فقد يكون هناك عفو . فارتفعت المرأة وصاحت : عفو ؟ إلى لأود هذا ، فسألها الرجل : « ماذا تريدين ؟ »

فقالت : أريد أن ألسه لأنه أحد الطلام التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سمادتي . وقد أشار على بهذا أحد السجرة . فقال الجلابد : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيرآ من النساء يأتين إلى مثل هذا الفرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها

فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقالت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أتعنين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي

— حسن . سأهد لك الطريق

— ولكن أين هو الآن ؟

— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم رسم الطريق الذي تسلكه ، فأنصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الأعدام في المتهم الشاب

ثم قرى الحكم وسيق التهم إلى المشقة

وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنت على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكذب تراه حتى خارت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وهمس في أذنها قائلاً : « هيا »